من أصحاب الكتب المعتمدة من لم يخرجه سوى مالك ، فإنه لم يخرجه في «موطئه» ووهم ابن دِحْية ، فقال الحافظ في إملائه على هذا الحديث: أخرجه مالك في «الموطأ» ، ورواه الشافعي عنه ، وهذا عجيب منه.

قلت: وافق ابن حَجَر في كون الإمام مالك لم يخرجه في الموطأ ، وذلك سهو منهما ، فقد أخرجه محمد بن الحسن في «موطئه» عنه.

الحديث الثاني

٢ ـ باب* حدّثنا عبد الله بنُ يُوسف ، قال : أخبرنا مالِكٌ ، عن هشامِ بن عُروْةَ ، عن أبيه ،

عن عائشةَ أم المؤمنينَ رضي الله عنها ، أنَّ الحارثَ بنَ هشام ، رضي الله عنه ، سألَ رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله! كيف يأتيك الوحيُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ ، «أحياناً يأتيني مثل صَلْصَلَة الجرس ، وهو أشدُّهُ عليَّ ، فيفصم عَنِّي وقد وَعَيْتُ عنهُ ما قال وأحياناً يتمَثَّلُ لي الملكُ رَجُلاً ، فيُكلِّمُني، فأعي ما يقولُ» قالت عائشةَ رضي الله عنها : ولقد رأيْتهُ ينزلُ عليه الوَحيُ في اليوم الشَّديد البَرْد فَيفصمُ عنهُ وإنَّ جَبِينَه لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً .

[الحديث ٢ ـ طرفه في ٣٢١٥] .

قوله: «أم المؤمنين أن الحارث بن هشام ، رضي الله تعالى عنه ، سأل . . الخ» إنما قيل للواحدة منهن : أم المؤمنين للتغليب ، وإلا فلا مانع من أن يقال لها: أم المؤمنات: وسيأتي في تعريف عائشة استيفاء الكلام على هذا المنزع.

وقولها: «سأل» يحتمل أن تكون عائشة حضرت ذلك ، فيكون من مسندها ، ويحتمل أن يكون الحارث أخبرها بذلك ، فيكون من مرسل الصحابة ، ويأتي الكلام عليه في آخر الكلام على هذا الحديث.

وقوله: «كَيْفَ يأتيكَ الوحيُ» يحتمل أن يكون المسؤول عنه صفة الوحي نفسه ، ويحتمل أن يكون صفة حامله ، أو ما هو أعم من ذلك.

وعلى كل حال فإسناد الإتيان إلى الوحي مجاز عقلي ، لأن الإتيان حقيقة من وصف حامله ، ومناسبة الحديث للترجمة هي أن أحاديث الباب تتعلق بلفظ الترجمة ، وبما اشتملت عليه ، ولما كان في الآية أن الوحي إليه نظير الوحي إلى الأنبياء قبله ، ناسب تقديم ما يتعلق بها ، وهو صفة الوحي وصفة عامله ، إشارة إلى أن الوحي إلى الأنبياء لا تباين فيه ، فحسن إيراد هذا الحديث عقب حديث الأعمال الذي تقدم التقدير بأن تعلقه بالآية الكريمة أقوى تعلق .

وقوله : «أحْياناً يأتيني» جمع حين ، وهو يطلق على أكثر الوقت وقليله . والمراد به هنا مجرد الوقت ، فكأنه قال : أوقاتاً يأتيني ، وانتصب على الظرفية ، وعامله يأتيني ، مؤخر عنه .

وقوله : «مثلَ صلصلةِ الجرس» : «مثل» يحتمل أن يكون مصدراً أي إتياناً مثل ، ويحتمل أن يكون حالاً أي مشابهاً صوته صوت الجرس ، والصَّلْصَلَة ـ بمهملتين مفتوحتين ، بينهما لام ساكنة ـ : صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ، ثم أطلق على كل صوت له طنين . وقيل : هو صوت متدارك لا يدرك من أول وهلة . والجرس ـ بالجيم محركاً ـ الجلجل الذي يعلق في رؤوس الدواب ، واشتقاقه من الجَرْس ـ بإسكان الراء ـ وهو الحس ؛ والصلصلة المذكورة صوت الملك بالوحي ، وقيل : صوت حَفِيْف أجنحة الملك ، والحكمة في تقدمه أن يَقْرَعَ سمعه الوحي ، فلا يبقى فيه متسع لغيره .

وقوله : «وهو أشده علي» يفهم منه أن الوحي كله شديد ، ولكن هذه الصفة أشدها ، وهو واضح لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب ، وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزُّلفى ، ورفع الدرجات .

وقوله : «فَيَفْصِمُ عني» أي الملك أو الوحي ، ويَفْصِم ـ بفتح المثناة التحتية ـ من باب ضرب أي يُقْلِعُ ويَنْجَلي عني ما يغشاني . ويُروى بضم أوله

من الرباعي ، وبضم أوله مبنياً للمجهول. والفصم : القطع ، ومنه قوله تعالى : ﴿لا انْفِصَامَ لَها﴾ [البقرة: ٢٥٦] وقيل: القصم بالقاف القطع بإبانة ، والفصم ـ بالفاء ـ القطع بلا إبانة. فذكر الفصم إشارة إلى أن الملك فارقه ليعود ، والجامع بينهما بقاء العلاقة.

وقوله: «وَقَدْ وَعَيْتُ عنهُ ما قالَ» أي: القول الذي قاله ، فالعائد محذوف ، وكل من الضميرين المجرور والمرفوع عائد على المَلَك المفهوم مما تقدم ، ولا معارضة بينه وبين قوله تعالى حكاية عمن قال من الكفار: ﴿إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ البَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] لأنهم كانوا يُنكرون الوحي ، وينكرون مجيء الملَك به. والجواب عن استشكال التشبيه بصوت الجرس ـ مع أنه مذموم لصحة النهي عنه ، لأنه مزمار الشيطان ، كما في مسلم ، وأبي داود ، وغيرهما ، فكيف يشبه به ما يفعله الملَك به مع أن الملائكة تنفر عنه ـ هو أنه لا يلزم من التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها ، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما ، والمقصود هنا بيان الجنس ، فذكر ما أَلِفَ السامعون سماعه تقريباً لإفهامهم. والحاصل أن الصوت له جهتان؛ جهة قوة وجهة طنين فمن حيث القوة وقع التشبيه به ، ومن حيث الطنين وقع التنفير منه ، ويحتمل أن يكون التشبيه وقع قبل النهي عنه ، وقال الإمام فضل الله التُّورِبِشْتيّ ـ بضم الفوقية ، وسكون الواو ، وبعدها راء فموحدة مكسورتان ، ثم شين معجمة ساكنة ، ففوقية مكسورة ـ لما سئل عليه الصلاة والسلام عن كيفية الوحي ، وكان من المسائل العويصة التي لا يُماط نقاب التعزز عن وجهها لكل أحد ، ضرب لها في الشاهد مثلا بالصوت المتدارك الذي يسمع ، ولا يفهم منه شيء ، تنبيهاً على أن إتيانها يرد على القلب في هَيبة الجلال ، وأُبَّهة الكبرياء ، فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب ، ويلاقي من ثقل القول ما لا علم له به بالقول مع وجود ذلك ، فإذا سُرِّيَ عنه ، وجد القول المنزل بيناً ملقى في الروع واقعاً موقع المسموع ، هذا معنى «فَيَفْصِمُ عني وَقَد وَعَيْتُ». وإنما كان هذا الضرب من الوحي أشد على النبي ﷺ من غيره ،

لأنه كان يُرَدُّ فيه من الطبائع البشرية إلى الأوضاع الملكية ، فيوحى إليه كما يوحى إلى الملائكة ، كما ذكر في حديث أبي هُريرة عن النبي ﷺ قال: إذا قضى الله في السماء أمراً ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعاناً لقوله: «كأنها سلسلة على صَفْوان ، **﴿فإذا فُزِّع على قلوبهم ، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير﴾** [سبأ: ٢٣] بخلاف الآخر الآتي لأنه أوحى إليه ، وهو باق على بشريته. وأخرج الطَّبَرانِيّ ، وابن أبي عاصم ، عن النُّوَاس بن سَمْعان مرفوعاً: «إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رَجْفةٌ ، أو رعْدة شديدة من خوف الله تعالى ، فإذا سمع أهل السماء صَعِقُوا وخَرّوا سُجَّداً ، فيكون أولهم يَرْفَعُ رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، فينتهي به إلى الملائكة ، كلما مرّ بسماء سأله أهلها: ماذا قال ربنا؟ قال: الحق ، فينتهي به حيث أمره الله من السماء والأرض . وأخرج ابن مَرْدُويه عن ابن مسعود مرفوعاً: «إذا تَكَلَّمَ الله بالوحي يسمعُ أهلُ السماءِ صلصلةً كصلصلةِ السلسلةِ على الصَّفْوانِ فَيَفْزَعونَ» وعند ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وقَتادة أنهما فسرا آية **﴿إذا فُزِّعَ عَنْ قُلوبِهِمْ﴾** [سبأ: ٢٣] بابتداء إيحاء الله إلى محمد ﷺ بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى . ولأبي الشيخ في كتاب «العظمة» عن وُهَيْب ابن الوَرْد، قال: بلغني أن أقرب الخلق من الله تعالى إسرافيل؛ العرش على كاهله ، فإذا نزل الوحي ولّى لوح من تحت العرش ، فيقرع جبهة إسرافيل ، فينظر فيه ، فيدعو جبريل ، فيرسله ، فإذا كان يوم القيامة ، أتي به ترعد فرائصه ، فيقال: ما صنعت فيما أدى إليك اللوح؟ فيقول: بلغت جبريل ، فيدعى جبريل ترعد فرائصه ، فيقال: ما صنعت فيما بلغك إسرافيل؟ فيقول: بلغت الرسل الأثر. . . الخ .

واعلم أن العلم بكيفية الوحي سر من الأسرار التي لا يدركها العقل ، وسماع الملك وغيره من الله تعالى ليس بحرف أو صوت ، بل يخلق الله تعالى للسامع علماً ضرورياً بثلاثة أمور؛ بالمتكلم ، وبأن ما سمعه كلامه ، وبمراده من كلامه ، فكما أن كلامه تعالى ليس من جنس كلام

البشر ، فسماعه الذي يخلقه لعبده ليس من جنس سماع الأصوات ، ولذلك عسر علينا فهم كيفية سماع موسى عليه السلام لكلامه تعالى الذي ليس بحرف ولا صوت، كما يعسر على الأَكْمَهِ كيفية إدراك البصر للألوان ، وقد جعل الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام الانسلاخ من البشرية إلى حالة المَلَكِيّة في حالة الوحي ، فطرة فطرهم عليها ، ونزههم عن عوائق البدن ، ما داموا متلبسين بها ، لما ركب في غرائزهم من العصمة والاستقامة ، فإذا انسلخوا عن بشريتهم ، وتلقوا في ذلك ما يتلقونه ، عاجوا على المدارك البشرية لحكمة التبليغ للعبادة ، فتارة يكون الوحي كسماع دوي ، كأنه رمز من الكلام يأخذ منه المعنى الذي ألقي إليه ، فلا ينقضي الدوي إلا وقد وعاه وفهمه ، وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي إليه رجلاً ، فيكلمه ويعي ما يقوله ، والتلقي مع الملك والرجوع إلى البشرية وفهمه ما ألقي عليه كله كأنه في لحظة واحدة بل أقرب من لمح البصر ، ولذا سمي وحياً ، لأن الوحي في اللغة الإسراع كما مر .

وفي التعبير عن الوحي في الأولى بصيغة الماضي ، وفي الثانية بالمضارع لطيفة من البلاغة وهي أن الكلام جاء مجيء التمثيل لحالتي الوحي ، فتمثلت حالته الأولى بالدوري الذي هو غير كلامه ، وأخبر أن الفهم والوعي يتبعه عقب انقضائه عند تصوير انفصال العبارة عن الوحي بالماضي المطابق للانقضاء والانقطاع ، وتمثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطبه ويتكلم مناسب للتعبير بالمضارع المقتضي للتجدد ، وفي حالتي الوحي على الجبلة صعوبة وشدة، ولذا كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف، لأن الوحي مفارقة البشرية إلى الملكية، فيحدث شدة من المفارقة الذات ذاتها، وقد يفضي بالتدريج شيئاً فشيئاً إلى بعض السهولة بالنظر إلى ما قبله، ولذا كانت تنزل نجوم القرآن وسوره وآياته حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة .

والتعبير عن الوحي في هذا الحديث بمثل صلصلة الجرس لا ينافيه ما أخرجه أبو داود عن عمر رضي الله تعالى عنه ، قال : كنا نسمع عنده

مثل دوي النحل ، لأن الأول بالنسبة إليه ﷺ ، والثاني بالنسبة إلى الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، والحكمة في هذا أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع ، وهي هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية ، وهو النوع الأول . وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني ، والأول أشد بلا شك .

وقوله : «وَأَحْياناً يتمثلُ لي المَلَكُ رجلاً» فاللام في «لي» تعليلية ، أي لأجلي ، والتمثل مشتق من المثل أي يتصور ، واللام في الملك للعهد ، وهو جبريل ، والملك مشتق من الألوكةِ وهي الرسالة ، يقال : ألكني أي : أرسلني ، ومنه سمي الملك ، لأنه رسول من الله تعالى ، والملائكة جمع ملأك على وزن مَفْعل ، و «رجلاً» منصوب على المصدرية أي : تمَثُّلَ رجلٍ ، أو التمييز على حد قولهم : امتلأ الإناء ماءً ، أو الحال والتقدير : على هيئة رجلٍ ، وفي الحديث دليل على أن الملك يتشكل بشكل البشر .

وقد قال المتكلمون : الملائكة أجسام لطيفة علوية تتشكل أي شكل أرادوا من الأشكال الطيبة لا الخبيثة ، وزعم بعض الفلاسفة أنهم جواهر روحانية ، والحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطب ، والظاهر أن القدر الزائد لا يفنى بل يخفى على الرائي فقط ، ويمكن أن يكون أتى على شكله الأصلي ، لكنه انضم فصار على هيئة الرجل ، وإذا ترك ذلك عاد إلى هيئته ، ومثال غلى ذلك : القطن إذا جمع بعد أن كان منتفشاً ، فإنه بالنفش تحصل له صورة كبيرة ، وذاته لم تتغير . . .

وقوله : «فَيُكَلِّمُني فَأَعي ما يَقُولُ» : «ما» موصولة ، والعائد محذوف ، وفي «صحيح» أبي عَوانة : «وهو أهونه علي» ، وقد وقع التغاير بين قوله : «وقد وعيت» بلفظ الماضي و: «فأعي» بلفظ المضارع ، لأن الوعي في الأول حصل قبل الفصم ، ولا يتصور بعده ، وفي الثاني في حالة المكالمة ، ولا يتصور قبلها ، أو أنه في الأول قد تلبس بالصفات الملكية ، فإذا عاد إلى حالته

الجِبِلِّيّة كان حافظاً لما قيل له ، فأخبر عن الماضي بخلاف الثاني ، فإنه على حالته المعهودة .

وليس المراد حصر الوحي في هاتين بل الغالب مجيئه عليهما ، وأقسام الوحي الرؤيا الصادقة ، ونزول إسرافيل أول البعثة كما ثبت في الطرق الصحاح أنه عليه الصلاة والسلام وُكِلَ به إسرافيل . فكان يتراءى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ، ثم وُكِلَ به جبريل ، وكان يأتيه في صورة رجل ، وفي صورة دِحْية ، وفي صورته التي خلق عليها مرتين ، وفي صورة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، وفي مثل صلصلة الجرس ، والوحي إليه فوق السماوات ، من فرض الصلاة وغيرها بلا واسطة ، وإلقاء الملك في رُوعه من غير أن يراه ، والرُّوع - بالضم - القلب ، أو موضع الفزع منه ، أو سواده ، أو الذهن والعقل واجتهاده ، وهو قريب من السابق ، إلا أن هذا مسبب عن النظر والاجتهاد ، ولكن يعكر على هذا أن الأصوليين جعلوا الاجتهاد والوحي قسمين ، ومجيء ملك الجبال مبلغاً له عن الله تعالى أنه أمره أن يطيعه ، وحديث : «إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعي» أخرجه ابن أبي الدُّنيا ، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود .

وفي تفسير ابن عادل أن جبريل نزل على النبي ﷺ أربعة وعشرين ألف مرة ، وعلى آدم اثنتي عشرة مرة ، وعلى إدريس أربعاً ، وعلى نوح خمسين ، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة ، وعلى موسى أربع مئة ، وعلى عيسى عشراً ، كذا قال ، والمعهدة عليه .

قال القَسْطَلّاني : ثم قال : «قالت عائشة ؛ رضي الله تعالى عنها الخ» وقولها هذا هو بالإسناد الأول ، وإن كان بغير حرف العطف كما يستعمل المؤلف وغيره كثيراً ، وحيث يريد التعليق يأتي بحرف العطف ، ونكتة هذا الفصل هنا اختلاف التحمل ، لأنها في الأول أخبرت عن مسألة الحارث ، وفي الثاني أخبرت عما شاهدت تأييداً للخبر الأول .

وقولها : «في اليوم الشديد البردِ» الشديد صفة جرت على غير من هي

له ، لأنه صفة البرد لا اليوم .

وقولها : «فَيُصْمُ» فيه ما في الذي قبله من الروايات .

وقولها : «لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً» بالفاء وتشديد المهملة . مأخوذ من الفَصْد ، وهو قطع العرق لإسالة الدم ، شبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق ، والعرق رَشْحُ الجلد ، وإنما حصل له من كثرة معاناة التعب والكَرْب عند نزول الوحي ، إذ أنه أمر طارىء زائد على الطباع البشرية ، وإنما كان ذلك كذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من أعباء النبوة ، والجبين غير الجبهة ، وهو فوق الصَّدْغ ، والصدغ ما بين العين والاذن ، فللإنسان جبينان يكتنفان الجبهة ، والمراد أن جبينيه معاً يتفصدان ، وإنما أفرده لأن الإفراد يجوز أن يعاقب التثنية في كل اثنين يغني أحدهما عن الآخر ، كالعينين والأذنين ، تقول عينه حسنة ، وأنت تريد أنَّ عينيه معاً حسنتان .

وأما رجاله فستة :

الأول: عبدالله بن يوسف التِّنِّيسيّ الأصل ، الدِّمَشْقيّ المنزل ، أبو محمد الكَلاعِيّ أكثر عنه البخاري في «صحيحه» ، وقال: كان من أثبت الشّاميّين ، قال: لقيته بمصر سنة سبع عشرة ومئتين ، وسمع منه «موطأ» مالك . وفي «الزهرة» أنه روى عنه مئتين وستّاً وثلاثين حديثاً ، وذكره ابن حبان في «الثقات» .

وقال الخَلِيْليّ: ثقة ، متفق عليه . وقال ابن مَعين: أوثق الناس في «الموطأ» القَعْنَبيّ ، ثم عبدالله بن يوسف . وقال مرة: ما بقي على أديم الأرض أحد أوثق في «الموطأ» من عبدالله بن يوسف . وقال أبو حاتم: هو أوثق من مروان الطاطري ، وهو ثقة . وقال إبراهيم بن يعقوب الجُوزْجاني: سمعت عبدالله بن يوسف الثقة المقنع . وقال ابن عدي: صدوق لا بأس به ، ومحمد بن إسماعيل مع شدة استقصائه اعتمد عليه في مالك . وقال ابن يونس: كان ثقة ، حسن الحديث ، عنده «الموطأ» ومسائل عن مالك غير «الموطأ» . قال ابن عبدالحكم: كان يحيى بن بُكيْر يقول: متى سمع عبدالله

ابن يوسف من مالك؟ فخرجت أنا فلقيت أبا مُسْهِر سنة ثمان عشرة ومئتين ، فقال لي : سمع عبدالله بن يوسف الموطأ معي سنة ست وستين ومئة ، فقلت ذلك ليحيى بن بُكير ، فلم يقل شيئاً .

وروى عن مالك ، والليث ، ويحيى بن حَمْزة الحَضْرميّ ، وسعيد بن عبدالعزيز ، والوليد بن مسلم ، وابن وَهْب ، وغيرهم .

وروى عنه البُخَارِيّ ، وروى عنه أبو داود ، والتِّرمِذِيّ ، والنسائي بواسطة محمد بن إسحاق الصَّغَانيّ ، وروى عنه يحيى بن مَعين ، وحَرْملة بن يحيى ، وأبو حاتم ، ويعقوب بن سُفيان ، وبكر بن سهل الدِّمْياطِيّ .

مات بمصر سنة ثمان عشرة ومئتين .

وليس في الكتب الستة من اسمه عبدالله بن يوسف سواه .

وتِنِّيس ـ بكسر التاء المثناة من فوق ، وكسر النون المشددة بعدها تحتانية ثم سين مهملة ـ بلدة قرب دِمياط ، بساحل البحر اليوم خَراب ، سميت بِتِنِّيس بن حام بن نوح عليه السلام .

وفي يوسف ست لغات ؛ الهمزة ، وتركها مع تثليث السين ، والصحيح أنه اسم عِبْرانيّ ، ومعناه جميل الوجه ، ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ، وقيل : إنه عربي ، وإنه مشتق من الأسف الذي هو الحزن ، أو الأسيف الذي هو العبد ، وقد اجتمعا في يوسف الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهذا بعيد لأن يعقوب ، عليه الصلاة والسلام ، لما سماه بذلك ، لم يلاحظ هذا المعنى .

الثاني : مالك بن أنس بن مالك بن أنس ، ويُكنى هذا بأبي عامر بن الحارث بن غيمان ـ بغين معجمة ـ وقيل : عثمان بن خثيل ـ بخاء معجمة ـ وقيل : جثيل ـ بجيم ـ ابن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصبح الأصبحي الحِمْيَرِيّ ، أبو عبدالله المَدَني ، أحد أعلام الإسلام ، إمام الأئمة ، وإمام دار الهجرة .

أخذ عنه الشافِعِيّ العلم الغزير ، وقال فيه : مالك حجة الله تعالى على خلقه بعد التابعين ، وقال : مالك معلمي ، وعنه أخذنا العلم ، وقال : إذا جاءك الحديث عن مـالك فَشُدَّ به يـدك ، وإذا جاء الأثر فمالكٌ النَّجْم ، وقال ابن عُيَيْنة في حديث أبي هُريرة : «يوشك أن يضرِب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم ، فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة» هو مالك ، وكذا قال عبدالرزاق ، وقال ابن عُيينة أيضاً : إنا كنا نتبع آثار مالك ، وننظر إلى الشيخ إن كتب عنه ، وإلا تركناه ، وما مَثَلي ومثل مالك إلا كما قال الشاعر :

وابْـنُ الـلَّبـونِ إذا مَا لُزَّ في قَرَنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَـةَ البُـزْلِ القَناعيسِ

وقال النسائي : ما عندي بعد التابعين أنبل من مالك ، ولا أجل منه ، ولا أوثق ، ولا أمكن على الحديث منه ، ولا أقل رواية عن الضعفاء ؛ ما علمناه حدث عن متروك إلا عبدالكريم ، يعني أبا أمية ، وقال ابن حِبان في «الثقات» : كان مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة ، وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث ، ولم يُوْرِدْ إلا ما صَحَّ ، ولا يحدث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والـنُسُكِ ، وبه تخرج الشافعي ، وقال ابن مَهْدي : ما رأيت أحداً أتم عقلاً ولا أشد تقوى من مالك ، وقال البخاري : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن عبدالله بن عُمر ، وقال ابن عُيينة أيضاً : ما كان أشد انتقاد مالك للرجال ، وأعلمه بشأنهم ، وقيل لسفيان : أيما أحفظ سمي أو سالم أبو النضر؟ فقال : قد يروي مالك عنهما ، قال علي عن بشر بن عمر الزَّهْرَاني : سألت مالكاً عن رجل ، فقال : رأيته في كتبي؟ قلت : لا ، قال : لو كان ثقة لرأيته في كتبي ، قال : لا أعلم مالكاً ترك إنساناً إلا إنساناً في حديثه شيء . وقال ابن لَهيعة : قدم علينا أبو الأسود محمد بن عبدالرحمن سنة ست وثلاثين ، فقلنا له : من يفتي بالمدينة؟ قال : ما رأيت ثَمَّ مثل فتى من ذي أَصْبح يقال له : مالك . وقال حسين بن عروة عن مالك : قدم علينا الزُّهْري ، فحدثنا نيفاً وأربعين حديثاً ، فقال ربيعة : ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس ، قال : من هو؟ قال : ابن أبي عامر ، قال : هات ، فحدثته منها بأربعين ، فقال : ما

كنت أظن أنه بقي من يحفظ هذا غيري ، وقال بعض المحدثين : قرأ علينا وكيع ، فجعل يقول : حدثني الثَّبْت ، حدثني الثَّبْت ، فقلنا : من هو؟ قال : مالك . وقال حرب : قلت لأحمد ؛ مالك أحسن حديثاً عن الزُّهري ، أو ابن عُيينة؟ قال : مالك ، قلت : فمَعْمر ، فقدم مالكاً إلا أن معمراً أكبر سنّاً منه . وقال وُهيب ليحيى بن حسان : ما بين شرقها وغربها أحد آمن عندنا على العلم من مالك ، والعرض على مالك أحب إلي من السماع من غيره ، وقال عبدالله بن أحمد : قلت لأبي من أثبت أصحاب الزُّهْري؟ قال : مالك أثبت في كل شيء ، وقال ابن سعد : كان مالك ثقة ، مأموناً ، ثبتاً ، ورعاً ، فقيهاً ، عالماً ، حجة . وقال أبو مُصعب عن مالك : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون محنكاً أني أهل لذلك . وقال ابن أبي خَيْثمة : حدثنا إبراهيم بن المُنْذر ، سمعت ابن عُيينة ، يقول : أخذ مالك ومَعْمر عن الزُّهري عَرْضاً ، وأخذت سماعاً ، قال : فقال يحيى بن معين : لو أخذا كتاباً كانا أثبت منه . وقال ابن وَهْب : سمعت منادياً ينادي بالمدينة : ألا لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس ، وابن أبي ذِئْب . وقال الشافعي : قال لي محمد بن الحسن : أيما أعلم صاحبنا أم صاحبكم ، يعني أبا حنيفة ومالكاً ، قلت له : على الإنصاف؟ قال : نعم ، قلت ناشدتك الله ، من أعلم بالسنة : صاحبنا أم صاحبكم؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال : قلت : ناشدتك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال الشافعي : فلم يبق إلا القياس ، وهو لا يكون إلا على هذه الأشياء ، فعلى أي شيء نقيس؟ وكان مالك إذا أراد أن يحدث توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن في جلوسه بوقار وهَيبة ، ثم حدث ، فقيل له في ذلك ، فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ، وكان لا يركب في المدينة مع ضَعْفه وكِبر سنه ، ويقول : لا أركب في مدينة فيها جُثَّةُ رسول الله ﷺ مدفونة ، وقال الواقِدِيُّ : كان مالك يأتي المسجد ، ويشهد الصلوات والجُمُعة والجنائز ويَعُود المرضى ، ويقضي الحقوق ، ويجلس في

المسجد ، ويجتمع إليه أصحابه ، ثم ترك الجلوس في المسجد ، فكان يصلي وينصرف إلى مجلسه ، وترك حضور الجنائز ، فكان يأتي أهلها فيعزيهم ، ثم ترك ذلك كلهِ ، فلم يكن يصلي الصلوات في المسجد ، ولا الجمعة ، ولا يأتي أحداً يعزيه ، ولا يقضي له حقاً ، واحتمل الناس له ذلك حتى مات عليه ، وكان ربما قيل له في ذلك ، فيقول: ليس كل الناس يقدر أن يَتَكَلَّم بعذرهِ ، وسعي به إلى جَعْفر بن سُليمان بن علي بن عبدالله بن العباس ، رضي الله عنهما ، وهو عم أبي جَعْفَر المنصور ، وقال له: إنه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء ، فغضب جعفر ، ودعا به ، وجرده من ثيابه ، وضربه بالسياط ، ومُدَّت يده حتى انخلعت كتفه ، وارتُكِبَ منه أمراً عظيماً ، فلم يَزَل بعد ذلك الضرب في علو رفعة ، فكأنما كانت تلك السياط حُلياً له. وقال القَعْنبيُّ: دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه ، فسلمت عليه ، ثم جلست ، فرأيته يبكي ، فقلت: أبا عبدالله! ما الذي يبكيك؟ فقال لي يا ابنَ قَعْنَب! وما لي لا أبكي ، ومن أحق بالبكاء مني ، والله لوددت أني ضربت بكل مسألة أفتيت فيها برأيي بسوط سوط ، وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت إليه ، وليتني لم أُفت بالرأي ، أو كما قال ، وقال: معن بن عيسى: سمعت مالكاً يقول: إنما أنا بشر أخطىء وأصيب ، فانظروا ما في رأيي ، فما وافق السنة فخذوا به ، وقال الدَّوْلَقِيُّ: أخذ مالك عن تسع مئة شيخ ، ثلاث مئة من التابعين ، وست مئة من تابعيهم ، ممن اختاره وارتضاه لدينه وفهمه ، وقيامه بحق الرواية ، وشروطها ، وسكنت النفس إليه ، وترك الرواية عن أهل دين وصلاح لا يعرفون الرواية.

ومن الأعلام الذين روى عنهم: نافع مولى ابن عُمر ، وزيد بن أسلم ، والزُّهْرِيّ ، وأبو الزِّناد ، وعبدالرحمن بن القاسم بن أبي بكر الصديق ، وأيوب السَّختياني وثور بن يزيد الدِّيلِيّ ، وإبراهيم بن أبي عَبْلة المَقْدِسيّ ، وحُميد الطويل ، وربيعة بن أبي عبدالرحمن ، وهشام بن

عُروة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وعائشة بنت سعد بن أبي وَقّاص ، وخلق .

وروى عنه كثير من شيوخه : كالزُّهري ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، بل قيل : إن مالكاً ما روى عن أحد إلا روى عنه ذلك الشيخ بعد ذلك ، إلا نافع بن أبي نُعيم المقرىء . ومن الأعلام الذين رووا عنه ، وماتوا قبله : سُفْيان الثَّوري ، وشُعبة بن الحَجّاج ، وأبو عاصم النَّبيل ، وعبدالله بن المُبارك ، وعبدالرحمن الأوزاعي ، وأبو حنيفة . قال السُّيوطِيّ : ألف الدارقطني جزءاً في مرويات أبي حنيفة عنه .

وروى عنه : عبدالله بن مَسْلمة القَعْنَبِيّ ، وعبدالله بن جُريج ، وأبو نُعيم الفضل بن دُكَيْن ، وقُتيبة بن سعيد ، واللَّيث بن سعد ، وهو من أقرانه ، والشافِعيّ ، وخلق كثير .

وأما الذين رووا عنه «الموطأ» والذين رووا «مسائل الآي» فأكثر من أن يُحْصَوْا ، قد بلغ فيهم أبو الحسن علي بن عمر الدارقُطْنيّ في كتاب جمعه في ذلك نحو ألف رجل .

وممن أخذه منه محمد بن الحسن الشَّيْباني ، وقال : أقمت عند مالك ابن أنس ثلاث سنين وكسراً ، وسمعت منه لفظاً أكثر من سبع مئة حديث ، وكان إذا حدث عن مالك امتلأ منزله ، وكثر الناس عليه ، حتى يضيقَ بهمُ الموضع ، وإذا حدث عن غير مالك لم يجئه أحد ، وأفردت العلماء التآليف العديدة في مناقبه ، كان شديد البياض إلى الشقرة طويلاً ، عظيم الهامة ، أصلع ، يلبس الثياب العدنية الجياد ، ويكره حلق الشارب ، ويعيبه ، ويراه مثلة ، ولا يغير شيبه ، ولد سنة خمس وتسعين ، وحمل به ثلاث سنين ، وفيها ولد الليث بن سَعْد ، وتوفي في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة ، وعاش أربعاً وثمانين سنة ، وقال الواقِدِيّ : عاش تسعين سنة . دفن بالبقيع ، وقبته به مشهورة تزار ، ورثاه أبو محمد جعفر بن أحمد ابن الحسين السَّرّاج :

سَقى جَدَثاً ضَمَّ البَقيعُ لمالِكٍ مِنَ المُزنِ مَرعاهُ السحائبُ مِبراقُ
إمامٌ مُوَطاه الذي طَبَّقَتْ به أَقاليمُ في الدنيا فِساحٌ وآفاقُ
أَقامَ به شَرعَ النَّبيِّ مُحمدٍ له حَذرٌ مِن أَن يُضامَ وإشفاقُ
له سَنَدٌ عالٍ صحيحٌ وهَيبةٌ فلِلْكُلِّ مِنهُ حينَ يَرويهِ إطراق
وأَصحابُ صدقٍ كلُّهُمْ فَسَلْ بهم إنهُم إن أَنت ساءَلْتَ حُذّاقُ
ولو لم يكن إلّا ابن إدريسَ وحْده كَفاهُ ألا إن السَّعادة أرزاقُ

والأصبحيُّ في نسبة نسبه إلى ذي أَصْبح ـ بفتح الهمزة ، وسكون الصاد ـ واسمه الحارث بن مالك بن زيد بن غَوْث بن سعد بن عَوْف بن عَدِيّ بن مالك بن زَيْد بن سَهْل ، بن عمرو بن قَيْس بن مُعاوية بن جشم ابن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان ، وذو كذا عند حمير لقب للملك ، ويجمع جمع تكسير ، فيقال لهم : الأذواء ، وجمع سلامة فيقال لهم : الذوين ، قال الشاعر :

فلا أَعني بذلك أَرذَليكُم ولكني أُريدُ به الذَّوِيْنَ

وليس في الرواة مالك بن أنس غيره سوى مالك بن أنس الكوفي ، رُوي عنه حديث واحد عن هانىء بن حرام ، وغلط من أدخل حديثه في حديثه الإمام ، نبه عليه الخطيب في كتابه «المتفق والمفترق» .

والإمام مالك أحد أهل المذاهب الستة المدونة مذاهبهم . وثانيهم النعمان أبو حنيفة ، مات ببغداد سنة خمسين ومئة عن سبعين سنة . والثالث الإمام الشافعي ، مات بمصر عن أربع وخمسين سنة ، سنة أربع ومئتين ، والرابع : أحمد بن حَنْبل ، مات ببغداد سنة إحدى وأربعين ومئتين ، عن ثمانين سنة ، والخامس سفيان الثوري ، مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة ، عن أربع وستين سنة ، والسادس : داوود بن علي الأَصْبهاني ، إمام الظاهرية ، مات ببغداد سنة تسعين ومئتين ، عن ثمان وثمانين سنة ، وقد جمع الإمام أبو الفضل يحيى بن سلامة الحَصْكَفِيّ

الخطيب الشافعي أسماءهم في بيت ، كما جمع أسماء القراء في بيت أيضاً فقال:

جَمَعتُ لكَ القُراء لما أَرَدتَهُمْ ببيتٍ تَراهُ للأَئِمةِ جامعاً
أَبو عَمرٍو وعبدالله حمزَةُ عاصِمٌ عليٌّ ولا تَنسَ المدِينيّ نافعاً
وإن شئْتَ أَركانَ الشريعةِ فاستَمع لتَعرِفَهُمْ فاحفَظ إذا كُنتَ سامِعاً
محَمدُ والنُّعمانُ مالكُ أحمدٌ وسفيانُ واذكُر بَعْدُ داوودَ تابعاً

الثالث: هشام بن عُروة بن الزُّبير بن العَوّام الأَسَدِيّ القُرَشِيّ أبو المُنْذِر ، وقيل : أبو عبدالله ، أحد تابعي المدينة المشهورين المكثرين في الحديث ، المعدودين من أكابر العلماء ، وجِلّة التابعين ، ولد هو وعمر بن عبدالعزيز ، والزُّهْري ، وقَتادة ، والأَعْمَش ، ليالي قتل الحسين ابن علي ، رضي الله تعالى عنهما ، وكان قتله يوم عاشوراء ، سنة إحدى وستين ، وقدم بغداد على المنصور ، وهو معدود في الطبقة الرابعة من أهل المدينة ، وقد قال له المنصور يوماً: يا أبا المنذر! أتذكر يوم دخلت عليك أنا وأبي وإخوتي الخَلائف ، وأنت تشرب سَويقاً بقصبة يَرَاع ، فلما خرجنا من عندك، قال لنا أبونا: اعرفوا لهذا الشيخ حقه، فإنه لا يزال في قومكم بقيةٌ ما بقي ، قال: لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين ، فلما خرج هشام ، قيل له: يُذَكِّرُكَ أمير المؤمنين ما تَمُتُّ به إليه ، فتقول: لا أذكره؟ فقال: لم أكن أذكر ذلك ، ولم يُعَوِّدُني الله في الصدق إلا خيراً.

وروي أنه دخل على المنصور ، وقال له: يا أمير المؤمنين! اقضِ عَنّي ديني ، فقال وكم دَينك؟ قال: مئة ألف ، قال: وأنت في فقهك وفضلك تأخذ دين مئة ألف ليس عندك قضاؤها؟ فقال: يا أمير المؤمنين! شب فتيان من فتياننا ، فأحببت أن أُبَوِّئَهُم ، وخشيت أن يُنشر علي من أمرهم ما أكره ، فبوأتهم ، واتخذت لهم منازل ، وأولمت عنهم ثقة بالله وبأمير المؤمنين ، فردد عليه مئة ألف استعظاماً لها ، ثم قال: قد أمرنا لك بعشرة آلاف ، فقال: يا أمير المؤمنين! أعطني ما أعطيتُ ، وأنت طيب النفس ، فإني سمعت أبي يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أعطى

عطية ، وهو بها طيب النفس ، بورك فيها للمعطي والمعطى له ، قال: فإني طيب النفس بها ، وأهوى إلى يد المنصور يقبلها فمنعه ، وقال: يا ابن عُروة إنا نكرمك عنها ، ونكرمها عن غيرك».

وقال: عثمان الدَّاريّ: قلت لابن مَعين: هشام أحب إليك من أبيه ، أو الزُّهْري؟ قال: كلاهما ، ولم يفضل. وقال ابن المَدِيْنِيّ: قال: يحيى ابن سعيد: رأيت مالك بن أنس في النوم ، وسألته عن هشام بن عُروة ، فقال: أما ما حدث به ، وهو عندنا ، فهو كأنه يصححه ، وأما ما حدث به ما خرج من عندنا ، فكأنه يوهنه ، وقال العِجْلي: وابن سعد كان ثقة ، زاد ابن سعد: ثبتاً كثير الحديث حجة. وقال أبو حاتم: ثقة إمام في الحديث ، وقالَ يعقوب بن شَيْبة: ثقة ، ثبت ، لم يذكر عليه شيء إلا بعد ما صار إلى العراق ، فإنه انبسط في الرواية عن أبيه ، فأنكر ذلك عليه أهل بلده ، والذي نرى أن هشاماً تَسَهَّلَ في العراق ، فإنه كان لا يحدث عن أبيه إلا بما سمعه ، فكان تسهله أنه أرسل عن أبيه ما كان يسمعه من غير أبيه عن أبيه. وقال ابن خِراش: بلغني أن مالكاً نقم عليه حديثه لأهل العراق ، قدم الكوفة ثلاث مرات قدمة كان يقول: حدثني أبي ، قال: سمعت عائشة ، وقدم الثانية ، فكان يقول: أخبرني أبي عن عائشة ، وقدم الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة ، وقال وَهْب: قدم علينا هشام بن عُروة ، وكان فينا مثل الحسن ، وابن سِيرين؛ وذكره ابن حِبّان في «الثقات»؛ وقال: كان متقناً ، ورعاً ، فاضلاً ، حافظاً ، وقال: ابن حَجَر: قول ابن خِراش كان مالك لا يرضاه ، قد حكى عن مالك فيه شيء أشد من هذا ولكنه محمول على ما قال؛ وقد احتج بهشام جميع الأئمة.

رأى ابن عمر؛ ومسح رأسه؛ ودعا له؛ وسهل بن سعد ، وجابراً ، وأنساً.

روى عن أبيه؛ وعمه عبدالله ، وابنه يحيى بن عبدالله ، وابن عمه عباد ابن حمزة بن عبدالله بن الزُّبير ، وامرأته فاطمة بنت المنذر بن الزُّبير بن

العوام ، وابن المنكدر ، ووهب بن كَيسان ، وصالح بن أبي صالح السَّمَّان ، وغيرهم.

وروى عنه أيوب السَّخْتِياني ، ومات قبله ، وعُبيد بن عمر ، ومَعْمر ، وابن جُرَيْج ، وابن إسحاق ومالك بن أنس ، والسُّفيانان ، والحَمَّادان ، وزُهير بن معاوية ، والنَّضْر بن شُمَيْل ، ويحيى بن سعيد القَطّان ، وخلق كثير.

مات ببغداد سنة خمس وأربعين ومئة ، ودفن بمقبرة الخيزران بالجانب الغربي ، خارج السوق ، نحو باب قطر وراء الخندق ، على مقابر باب حرب ، وهو ظاهر هناك معروف ، وعليه لوح منقوش أنه قبر هشام بن عُروة ، ومن قال إنه بالجانب الشرقي ، قال: إن القبر الذي بالجانب الغربي هو قبر هشام بن عروة المَرْوَزِيّ ، صاحب عبدالله بن المبارك.

الرابع: عُروة بن الزُّبَير بن العوَّام بن خُوَيْلد بن أَسَد بن عبد العُزى بن قُصَيّ بن كلاب ، أبو عبدالله المَدَنِيّ الأَسَدِيّ القرشي التابعي ، الجليل ، المجمع على جلالته ، وإمامته ، وكثرة علمه ، وبراعته ، أحد فقهاء المدينة السبعة الذين جمعهم القائل بقوله:

ألا كلُّ مَن لا يَقتدي بأئمةٍ فَقِسمَتُهُ ضِيْزَى عن الحق خارجهْ
فخُذهُم عُبيدالله عُروةُ قاسمٌ سعيدٌ أبو بَكرٍ سُليمانُ خارجهْ

وسعيد المراد به ابن المُسَيَّب ، وعبيدالله بن عبدالله بن عُتبة بن مسعود ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وسليمان بن يَسار ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هِشام ، وقيل: مكانه أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وقيل: سالِم بن عبدالله ابن عمر، وخصت الفقهاء السبعة بهذا الاسم، لأن الفتيا بعد الصحابة، رضوان الله عليهم ، صارت إليهم ، وشُهِروا بها ، وهم في عصر واحد ، وعنهم انتشر العلم، والفتيا، وكان في عصرهم جماعة من العلماء

التابعين، مثل سالم بن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهم، وأمثاله، ولكن الفتوى لم تكن إلا لهؤلاء السبعة، وأم عروة أسماء بنت أبي بكر الصديق، ذات النطاقين، وإحدى عجائز الجنة، وهو شقيق عبد الله، بخلاف مصعب، فليس شقيقاً لهما، فقد جمع الشرف من وجوه، فرسول الله صلى الله عليه وسلم صهره، وأبو بكر جده، والزبير والده، وأسماء أمه، وعائشة خالته.

ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة، وقال: كان ثقة، كثير الحديث، فقيهاً، عالماً ثبتاً، مأموناً. وقال العِجْلِيّ: مدني، تابعي ثقة، وكان رجلا صالحاً، لم يدخل في شيء من الفتن. وقال ابن شهاب: كان إذا حدثني عروة ثم حدثتني عَمْرة، صَدَّقَ عندي حديث عمرةَ حديثَ عروةَ، فلما بَحَرْتُهما إذا عروة بحر لا يُنْزَف. وقال هشام بن عروة: كان أبي يقول: إنا كنا أصاغر قوم، ونحن اليوم كبار، وإنكم اليوم أصاغر، وستكونون كباراً، فتعلموا العلم تسودوا به، ويحتاج لكم؛ فوالله ما سألني الناس حتى نسيت. وقال ابن عُيينة، عن الزُّهري: كان عروة يتألف الناس لحديثه، وقال قَبيصةُ بنُ ذُؤَيْب: كان عروة يغلِبنا بدخوله على عائشة، وكانت عائشة أعلم الناس، وقال ابن عُيَيْنَةَ: كان أعلم الناس بحديث عائشة عروة، وعَمرة، والقاسم. وقال هشام عن أبيه: قد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حِجج، أو خمس حِجج، وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها، إلا وقد وعيته. وقال حُميد بن عبد الرحمن بن عَوْف: لقد رأيت الأكابر من أصحاب النبي ﷺ وإنهم ليسألونه عن قصة ذكرها، وقال ابن أبي الزِّناد، وقال عروة: كنا نقول: لا نتخذ كتاباً مع كتاب الله، فمحوت كتبي، فوالله لوددت أن كتبي عندي، وأن كتاب الله قد استمرت مريرته. وقال هشام: إن أباه كان حرق كتباً فيها فقه، ثم قال بعد ذلك: لوددت أني فديتها بأهلي، ومالي، وقال أيضاً عن أبيه: إذا رأيت الرجل يعمل السيئة، فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيته يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات، وقال هشام: ما سمعت أبي قط يقول في شيء برأيه. وقال ابن حِبان في «الثقات»: كان من أفاضل أهل المدينة، وعقلائهم،

وقال ابن يونُس في «تاريخ الغرباء»: قدم مصر وتزوج بها امرأة من بني وَعْلة ، وأقام بها سبع سنين ، وكان فقيهاً فاضلاً ، وقال ابن شَوْذَب: كان يقرأ كل ليلة ربع القرآن،ويقرأه كل نهار ناظراً في المصحف ، وجمع المسجد الحرام بينه وبين أخويه ، عبدالله ، ومصعب ، وعبد الملك بن مروان. أيام تألفهم بعهد معاوية بن أبي سفيان ، فقال بعضهم: هَلُمَّ فَلْنَتَمَنَّ ، فقال عبدالله بن الزبير: مُنيتي أن أملك الحرمين ، وأنال الخلافة. وقال مُصعب: منيتي أن أملك العِراقين ، وأجمع بين عَقِيلتَي قريش ، سُكَيْنة بنت الحسين بن علي ، وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله. وقال عبد الملك بن مَرْوان: منيتي أن أملك الأرض كلها ، وأخلف معاوية. فقال عروة: لست في شيءٍ مما أنتم فيه ، منيتي الزهد في الدنيا ، والفوز بالجنة في الآخرة ، وأن أكون ممن يُروى عنه هذا العلم؛ فصرف الدهر من صرفه إلى أن بلغ كل واحد منهم غرضه ، فكان عبد الملك لهذا يقول: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عروة بن الزبير.

وقدم على الوليد بن عبد الملك ، ومعه ولده محمد ، فدخل ولده إسطبل دواب عبد الملك ، فضربته دابة ، فخر ميتاً ، ووقعت في رجله الأَكلَةُ كقُرحة ، فقال له الوليد: اقطعها وإلا أفسَدَتْ عليك جسدك ، فقطعها بالمنشار ، وهو شيخ كبير ، ولم يمسكه أحد ، وكان في مجلس الوليد ، والوليد مشغول عنه بمن يحدثه ، ولم يَتحرَّك ، ولم يشعر الوليد بأنها قطعت حتى كُويت ، وشم رائحة الكي ، ولم يترك ورده تلك الليلة ـ وقال ابن شَوْذَب: إنه تركه تلك الليلة ـ وما زاد حالة قطعها على التكبير والتهليل ولما قطعت أغلي له الزيت في مغارف الحديد ، فحسم به ، فغشي عليه ، فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه ، ولما رأى القدم بأيديهم دعى بها ، فقلبها في يده ، ثم قال: والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام ، وقال: اللهم إنه كان لي أطراف أربعة ، فأخذت واحداً ، وأبقيت لي ثلاثة ، فلك الحمد ، وايم الله ، لئن أخذت لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لطالما عافيت ، ولم يُسمع منه شيء حتى قدم

المدينة ، فقال: ﴿لَقَدْ لَقِيْنا من سَفَرِنَا هذا نَصَباً﴾ [الكهف: ٦٢] وكان أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طَلْحة ، فقال: والله ما بك حاجة إلى المشي ، ولا أربٌ إلى السعي ، وقد تقدمك عضو من أعضائك ، وابن من أبنائك إلى الجنة ، والكل تبع للبعض ، إن شاء الله تعالى ، وقد أبقى الله منك ما كنا إليه فقراء ، وعنه غير أغنياء من علمك ، ورأيك؛ نفعك الله وإيانا به؛ والله ولي ثوابك ، والضمين لحسابك.

وروي أنه قدم تلك السنة قوم من بني عبس ، فيهم رجل ضرير ، فسأله الوليد عن عَيْنَيْه ، فقال: ياأمير المؤمنين! بت ليلة في بطن واد ، ولا أعلم عبسيًّا يزيد ماله على مالي ، فطرقنا سيل ، فذهب بما كان لي من أهل ، ومال ، وولد ، غيربعير ، وصبي مولود ، وكان البعير صعباً فند ، فوضعت الصبي ، واتبعت البعير ، فلم أجاوز إلا قليلاً حتى سمعت صيحة ابني ، ورأسه في فم الذئب يأكله ، فلحقت البعير لأحبسه ، فنفحني برجله على وجهي ، فَحَطَمَهُ ، وذهب بعينيَّ ، فأصبحت لا مال لي ، ولا أهل ، ولا ولد ، ولا بصر ، فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاء ، وكان عروة إذا جاءت أيام الرطب يَتْلُمُ حائطه ، فيدخل الناس ، فيأكلون ويحتملون ، وكان إذا دخله رَدَّدَ هذه الآية: ﴿ولَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جنَّتَكَ قُلْتَ مَا شاءَ الله لا قُوَّةَ إلا بِالله﴾ [الكهف: ٣٩] حتى يخرج ، ولما قتل أخوه عبدالله ، قدم على عبد الملك ، وقال له يوماً: أريد أن تعطيني سيف أخي عبدالله ، فقال له: هو بين السيوف ، ولا أميزه من بينها ، فقال عروة: إذا حضرت السيوف عرفته ، فأمر عبد الملك بإحضارها، فلما حضرت ، أخذ منها سيفاً مفللا ، فقال هذا سيف أخي ، فقال له: كنت تعرفه قبل الآن؟ فقال: لا ، فقال: كيف عرفته؟ قال: قال النابغة:

ولا عيْبَ فيهِمْ غيرَ أَن سيوفَهُمْ بهِنَّ فلولٌ مِن قراعِ الكتائِبِ

وهو الذي احتفر بئر عروة الذي بالمدينة ، وهي منسوبة إليه ، وليس بالمدينة بئر أعذب منها.

وروى عن: أبيه ، وأخيه عبدالله ، وأمه أسماء ، وخالته عائشة ، وعلي بـن أبي طالب ، وسعيد بن زيد بـن عمرو بن نُفَيْل ، وحَكيم بن حزام ، وزيد بـن ثابت ، وعبدالله بن جعفر ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله ابن عمر ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وخلق كثير.

وروى عنه: أولاده عبد الله ، وعثمان، وهشام، ومحمد، ويحيى ، وابن ابنه عمر بن عبد الله بن عُروة ، وابن أخيه محمد بن جعفر بن الزُّبير ، وأبو الأسود ، ومحمد بن عبد الرحمن بن نَوْفل ـ يتيم عروة ـ وأبو سَلَمة بن عبد الرحمن ، وأبو بُردة بن أبي موسى ، وعبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، وهم من أقرانه ، وتَميم بن سَلمة ، وصالح بن كَيْسان ، والزُّهري ، وأبو الزِّناد ، وابن أبي مليكة ، وعِراك بن مالك وعطاء بن أبي رَبَاح ، وعمر بن عبد العزيز ، وعَمْرو بن دينار ، وغيرهم .

ولد في آخر خلافة عمر بن الخطاب ، سنة ثلاث وعشرين ، وأما ما رواه يعقوب بن سفيان من طريق الزُّهري ، عن عُروة ، أنه قال: كنت غلاماً ، لي ذُؤابتان ، فقمت أركع ركعتين بعد العَصْر ، فَبَصُرَ بي عمر بن الخطاب ، ومعه الدِّرة ، فلما رأيته فررت منه ، فأحضر في طلبي حتى تعلق بذؤابتي ، فنهاني ، فقلت: يا أمير المؤمنين! لا أعود ، فهو وهم ، ولعل ذلك جرى لأخيه عبدالله بن الزبير ، وسقط اسمه على بعض الرواة ، مات وهو صائم ، سنة اثنتين وتسعين ، وقيل: ثلاث ، وقيل : أربع ، وقيل: خمس ، ودفن في قرية له بقرب المدينة يقال لها: فُرْع ـ بضم الفاء وسكون الراء ـ وهي بناحية الرَّبَذَة ، بينها وبين المدينة أربع ليال ، وهي ذات نخيل ، ومياه وسنة موته سنة موت الفقهاء.

الخامس: عائشة ـ أم المؤمنين ـ بنت أبي بكر الصديق ، رضي الله تعالى عنهما ، الفقيهة ، الربانية ، حبيبة النبي ﷺ ، وبنت حبيبه كناها النبي ﷺ أم عبدالله ، بابن أختها عبدالله بن الزُّبير ، وقيل: بِسِقْط لها ، وليس صحيح . وأمها أم رُومان ـ بضم الراء ، وفتحها ـ زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب الكِنانية ، وهي أم عبد الرحمن أيضاً.

كانت رضي الله عنها ، من أكبر فقهاء الصحابة ، وأحد الستة المكثرين في الحديث ، تزوجها النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين ، وقيل: بثلاث ، وهي بنت ست سنين ، وقيل: بنت سبع ، قال ابن حَجَر: ويجمع بينهما بأنها كانت أكملت السادسة ، ودخلت في السابعة ، ودخل بها وهي بنت تسع ، قال ابن عبد البَرّ: لا أعلمهم اختلفوا في ذلك ، وكانت تذكر لجُبَيْر بن مُطْعم ، وتسمى له . وكان رسول الله ﷺ رآها في المنام في سَرَقَة من حرير ، فتوفيت خديجة ، فقال: إن يكن هذا من عند الله يُمْضِهِ ، فتزوجها بعد موت خديجة ، رضي الله عنها بثلاث سنين ، وكان موت خديجة ، رضي الله عنها ، قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهذا أولى ما قيل في ذلك وأصحه ، وقيل في موت خديجة: إنه كان قبل الهجرة بثلاث ، وقيل: بأربع .

وروى يونس عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ تزوج عائشة ، رضي الله عنها ، في شوال سنة عشر من النبوة ، قبل الهجرة بثلاث سنين ، وأعْرَسَ بها في شوال في المدينة المنورة ، على رأس ثمانية عشر شهراً من مُهاجَره إلى المدينة . وفي ابن عبد البر: كانت تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبتها على أزواجهن في شوال ، وتقول: هل في أزواجه أحظى مني ، وقد نكحني وابتنى بي في شوال؟ . وكان مُكثها معه تسع سنين ، وقيل: ثمانية أعوام وخمسة أشهر.

وفي «الصحيح» عن عائشة أنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست ، وبنى بي وأنا بنت تسع ، وقُبِض وأنا بنت ثمان عشرة سنة .

وأخرج ابن أبي عاصم عنها؛ أنها قالت: لما توفيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم بن الأَوْقَصِيّ ، امرأة عثمان بن مَظْعون ، وذلك بمكة : أي رسول الله: ألا تتزوج قال: «من؟» قالت: إن شئت بكراً ، وإن شئت ثيباً ، قال: «فمن البكر؟» قالت: بنت أحب خلق الله إليك ، عائشة بنت أبي بكر ، قال: «ومن الثيب؟» قالت: سَوْدة بنت زَمْعة ، آمنت بك واتَّبَعَتْكَ ، قال: اذهبي ، فاذكريهما علي ، فجاءت ، فدخلت بيت أبي

بكر ، فوجدت أم رُومان ، فقالت: ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة ، قالت: وددت ، انتظري أبا بكر ، فجاء أبو بكر ، فذكرت له ، فقال: وهل تصلح له ، وهي بنت أخيه؟ فرجعت ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فقال: قولي له: أنت أخي في الإسلام ، وابنتك تَحلُّ لي ، فجاء ، فأنكحه ، وهي يومئذ بنت ست سنين. وفي «الصحيح» أنه لم ينكح بكراً غيرها ، وهو متفق عليه بين أهل النقل.

وروي عنها من طريق ابن سعد: أعطيت خِلالاً ما أعطيتها امرأة منكن ، ملكني رسول الله ﷺ ، وأنا بنت سبع ، وأتاه الملك بصورتي في كفه لينظر إليها ، وبنى بي لتسع ، ورأيت جبرائيل ، وكنت أحبَّ نسائه إليه ، وَمَرَّضْتُهُ فقُبِضَ ولم يشهده غيري والملائكة ، وورد من وجه آخر أنها قالت: فَضُلْتُ بعشر ، فذكرت مجيء جبريل بصورتها ، قالت: ولم ينكح بكراً غيري ، ولا امرأة أبواها مهاجران غيري ، وأنزل الله براءتي من السماء ، وكان ينزل عليه الوحي ، وهو معي ، وكنت أَغتسل أنا وهو من إناء واحد ، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ، وقبض بين سَحْري ونحري في بيتي وفي ليلتي ، ودفن في بيتي.

وفي «الصحيح» من طريق هشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، قالت: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة ، فذكر الحديث ، وفيه فقال في الثالثة: «لاتُؤذيني في عائشة ، فإنه والله ما نزل علي وحيٌ وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غيرها» وفي «الصحيح» عن أبي موسى مرفوعاً: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

ومن طريق أبي محمد مولى الغِفارِيّين أن عائشة قالت: يارسول الله! من أزواجك في الجنة؟ قال: «أنت منهن».

وأخرج الترمذي من طريق الثوري أن رجلاً قال عند عمار: من عائشة؟

فقال: اغرُب؟ مقبوحاً ، أتؤذي محبوبة رسول الله ﷺ؟ وأخرجه ابن سعد من وجه آخر ، قال: مقبوحاً ، منبوحاً ، وزاد؛ إنها لَزوجته في الجنة ، ومن مُرسل مسلم بن البُطَيْن ، قال: قال رسول الله ﷺ: «عائِشة زوجَتي في الجنةِ».

وزاد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، عائشة على أزواج النبي ﷺ ، وقال: إنها حبيبة رسول الله ﷺ.

وروي عن عمرو بن العاص أنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» ، قلت فمن الرجال؟ قال: «أبوها».

وعن ابن عباس ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيَّتُكُنَّ صاحبة الجمل الأدبب يُقتل حولها قتلى كثيرة ، وتنجو بعد ما كادت؟» وهذا من أعلام نبوته ﷺ.

وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول: حدثتني الصادقة بنت الصديق البريئة المبرأة بكذا. وقال: رأيت مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض.

وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس ، وأحسن الناس وأعلم الناس رأياً في العامة. وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ، ولا بطب ، ولا بشعر من عائشة.

وقال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علماً. وقال أبو الزِّناد: ما رأيت أحداً أروى للشعر من عروة ، فقيل له: ما أرواك يا عبدالله ، قال: وما روايتي من رواية عائشة ، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً؟ وقال: الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء ، لكان علم عائشة أفضل. وأخرج ابن سعد من طريق أم ذَرّة ، قالت: أتيت عائشة بمئة ألف ففرقتها ، وهي يومئذ صائمة ، فقلت لها: أما استطعت فيما فرقت أن

تشتري بدرهم لحماً تُفْطِرينَ عليه ، فقالت: لو كنت ذكرتيني لفعلت.
وفيها يقول حسان بن ثابت:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتُصبِحُ غَرْثَى من لُحوم الغَوافِلِ
عَقِيلةُ أَصْلٍ مِن لُؤَي بن غالبٍ ... كرامِ المساعي مجدهم غيرُ زائلِ
مُهَذَّبةٌ قد طَيَّبَ الله خِيمَها ... وطَهَّرها مِن كُل بَغْي وباطلِ
فإن كان ما قد قيل عني قُلتهُ ... فلا رفعتْ سَوطي إليَّ أناملي
وإن الذي قد قيل ليس بلائِط ... بها الدهر بل قول امرىء متماحل
فكيف وَوُدّي ما حَيِيْتُ ونصرتي ... لآل رسول الله زَيْن المحافل
رَأيتك وليغفر لك الله حُرة ... من المحصنات غير ذات الغوائل

وأمر النبي ﷺ بالذين رَمَوْا عائشة بالإفْكِ ، حين نزل القرآن ببراءتها ، فجُلدوا الحد ثمانين ، وحسان بن ثابت لم يُجلد معهم ولا خاض في الإفك ، ويزعمون أنه هو القائل:

لقد ذاق عبدالله ما كان أهلهُ ... وحَمْنَةُ إذ قالوا هَجِيراً ومِسْطحُ

وعبدالله وهو ابن أُبَيّ ، وقيل: إن حساناً جُلد ، وإنه من جملة أهل الإفك في عائشة ، وأنشد ابن اسحاق هذا البيت في جملة أبيات ، وقال:

لقَدْ ذاق حسان الذي كَانَ أهلهُ . . . الخ .

قال ابن عبدالبر: وهذا أصح ، لأن عبدالله بن أُبي لم يكن ممن يُستر جلده عن الجميع لو جُلِدَ؛ وقد روي أن حسان بن ثابت استأذن على عائشة بعد ما كُفَّ بصره ، فأذنت له ، فدخل عليها ، فأكرمته ، فلما خرج من عندها ، قيل لها: أهذا من القوم؟! قالت: أليس الذي يقول:

فإنَّ أبي ووالده وعِرضي ... لِعِرض محمد منكم وقاءُ

هذا البيت يغْفِرُ له كل ذنب ، واختلف : هل هي أفضل من خديجة؟ أو خديجة أفضل؟ كما اختلف هل هي أفضل أو فاطمة الزهراء؟ والأصح أنها هي أفضل هكذا قال العَيْنِي ، والذي في «فتح الباري» في أحاديث الأنبياء عند ذكر مريم بنت عمران أن أفضل نساء هذه الأمة خديجة ، وذكر

obeikandi.com

في مناقب الصحابة في فضل خديجة أن خديجة أفضل نسائه على الراجح ، وذكر في فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أن أفضليتها مقيدة بنساء النبي ، عليه الصلاة والسلام ، جمعاً بين هذا الحديث ، وحديث ، «أفضل نساء أهل الجنة خديجةُ وفاطمةُ الزهراء» .

وسبب تسمية أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين قوله تعالى : ﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب: ٦] أي في وجوب احترامهن وبرِّهن ، وتحريم نكاحهن لا في جواز الخلوة والمسافرة ، وتحريم بناتهن ، وكذا النظر في الأصح ، وهل يقال لأخواتهن وإخوتهن أخوال وخالات المؤمنين؟ ولبناتهن أخوات المؤمنين؟ فيه خلاف بين العلماء ، والأصح المنع لعدم التوقيف ، وهل يقال فيهن أيضاً أمهات المؤمنات؟ فيه خلاف ، وروي عن عائشة ، رضي الله عنها ، أنها قالت : أنا أم رجالكم لا أم نسائكم . وهل يقال للنبي ﷺ : أبو المؤمنين؟ فيه خلاف ، والأصح الجواز.

روي لها ألفا حديث ومئتا حديث وعشرة أحاديث. اتفق البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ، ومسلم بثمانية وخمسين.

روت عن: أبيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعد بن أبي وقّاص ، وأُسيد بن حُضَيْر ، وجدامة بنت وهْب ، وحفصة بنت عمر.

وروى عنها من الصحابة: عمر ، وابنه عبدالله ، وأبو هريرة ، وأبو موسى ، وزيد بن خالد ، وابن عباس ، والسائب بن يزيد ، وغيرهم ، ومن آل بيتها أختها أم كلثوم ، وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث ، وابنا أختها عبدالله وعروة ابنا الزبير. وروى عنها من كبار التابعين سعيد بن المُسَيِّب ، وعَمرو بن ميمون ، وعَلقمة بن قيس ، ومسروق ، والأسود بن يزيد ، وخلق كثير.

توفيت سنة سبع وخمسين ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، ليلة الثلاثاء

لسبع عشرة خلت من رمضان ، وأَمَرَتْ أن تدفن ليلاً ، فدفنت بعد الوتر في البقيع ، وصلى عليها أبو هريرة ، ونزل قبرها خمسة ، عبدالله ، وعروة ابنا الزبير ، والقاسم بن محمد ، وعبدالله بن محمد بن أبي بكر ، وعبدالله بن أبي بكر ، وسنها يوم ماتت خمس وستون سنة .

وليس في «الصحيحين» من اسمه عائشة من الصحابة غير الصديقة . وفيهما عائشة بنت طلحة بن عبيدالله عن خالتها عائشة ، أصدقها مصعب ألف ألف ، وكانت بديعة جداً . وفي «البخاري» عائشة بنت سعد بن أبي وقاص تروي عن أبيها . وفي «ابن ماجة» ، عائشة بنت مسعود بن العَجْماء العَدَوية تروي عن أبيها ، وعنها ابن أخيها محمد بن طلحة .

وجملة من في الصحابة اسمه عائشة عشرة : هذه ، وبنت سعد بن أبي وقاص ، وبنت جرير الأنصارية ، وبنت الحارث القرشية ، وبنت أبي سفيان الأَشْهَلِيَّة ، وبنت عبدالرحمن بن عتيك ، زوجة ابن رفاعة ، وبنت عُمَيْر الأنصارية ، وبنت مُعاوية بن المغيرة أم عبدالملك بن مروان ، وبنت قُدامة بن مَظْعون .

السادس : الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم أخو أبي جهل لأبويه ، وابن عم الوليد بن المغيرة ، وأمه فاطمة بنت الوليد ابن المغيرة ، يكنى أبا عبدالرحمن ، شهد بدراً مع المشركين ، وكان فيمن انهزم ، فعيره حسان بن ثابت فقال :

إن كُنْتِ كاذبةَ الذي حدثتِنِي ... فَنَجوْتِ منجى الحارث بن هشامِ
تَركَ الأَحِبَّةَ أن يُقاتِلَ دُونهم ... ونجى بِرأْس طِمِرَّة ولِجامِ

فأجابه الحارث بقوله :

اللهُ يعلمُ ما تَركتُ قتالهمْ ... حتى رَمَوا فرسي بأَشْقَرَ مُزْبِدِ
فعلمتُ أني إنْ أُقاتِلْ واحداً ... أُقتَلْ ولا يبكي عدوّي مَشْهدِي
ففررتُ عنهمْ والأَحبةُ فيهمُ ... طمعاً لهمْ بعقابِ يومٍ مُرْصَدِ

وقال الأصمعي : هذه الأبيات أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار ،

ثم شهد أُحداً مشركاً ، وأسلم يوم الفتح ، وحسن إسلامه ، وأعطاه النبي ﷺ يوم حُنين مئة من الإبل في المؤلفة قلوبهم ، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم. وروي أن أم هانىء بنت أبي طالب استأمنت له النبي ﷺ ، فأمنه يوم الفتح ، وكانت إذ أمنته قد أراد علي قتله ، وأراد أن يغلبها عليه ، فدخل النبي ﷺ منزلها ذلك الوقت ، فقالت : يا رسول الله! ألا ترى إلى ابن أمي يريد قتل رجل أَجَرْتُهُ ، فقال رسول الله ﷺ : قد أجرنا من أجرت ، وأَمَّنا من أَمَّنت فأمنه ، وقيل: إن الذي أجارته بعض بني زوجها هُبيرة ، وكان يُضرب به المثل في السُّؤْدد حتى قال الشاعر:

أَحَسِبْتَ أَنَّ أَباك يوم نسبتني في المَجْد كان الحارثَ بن هشامِ
أَوْلى قُريشٍ بالمكارمِ والنَّدى في الجاهليةِ كان والإسلامِ

وذكر ابن إسحاق في قصة السقيفة ، قال: فقال الحارث بن هشام ، وهو يومئذ سيد بني مَخْزوم ، ليس أحد يُعْدَلُ به إلا أهل السوابق مع رسول الله ﷺ فقال: والله لولا قول رسول الله ﷺ «الأَئِمَّةُ مِنْ قريش» ما أبعدنا منها الأنصار ، ولكانوا لها أهلاً، ولكنه قول لا شك فيه، فوالله لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لَصَيَّرَ الله هذا الأمر فيه ، وكان الحارث يَحْمِلُ في قتال الكفار ويرتجز :

إني بِرَبي والنَّبي مُؤمن والبَعْثِ مِنْ بعد الممات مُوْقِن
أَقْبِحْ بِشَخْص للحياة مُوطِنُ

روي أن رسول الله ﷺ ذكر الحارث بن هشام وفعله في الجاهلية في قِرى الأضياف ، وإطعام الطعام ، فقال: «إن الحارث لَسرِيّ ، وإن أباه لسري ، ولوددت أن الله هداه للإسلام». وروي عنه أنه قال: يا رسول الله! مُرني بأمرٍ أعتصم به ، فقال: «املك عليك هذا» ، وأشار إلى لسانه ، قال: فرأيت أن ذلك شيء يسير ، وكنت رجلاً قليل الكلام ، ولم أفطن له ، فلما رُمته فإذا لا شيء أشد منه.

وروي عن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: خرج الحارث بن هشام ، فجزعَ أهل مكة جزعاً شديداً ، فلم يبق أحد يطعم إلا خرج معه يُشيِّعُهُ ،

حتى إذا كان بالبطحاء ، أو حيث شاء الله من ذلك وقف ، ووقف الناس حوله يبكون ، فلما رأى جزع الناس ، قال: يا أيها الناس! إني والله ما خرجت رغبةً بنفسي عنكم ، ولا اختيار بلد عن بلدكم ، ولكن كان هذا الأمر ، فخَرَجَت فيه رجال من قريش ، والله ما كانوا من ذوي أسنانها ، ولا في بيوتها ، فأصبحنا والله لو أن جبال مكة ذهباً أنفقناها في سبيل الله ، ما أدركنا يوماً من أيامهم ، ووالله لئن فاتونا به في الدنيا لَنَلْتَمِسُ أن نشاركهم في الآخرة ، فاتَّقَى اللهَ امرؤٌ فَعَلَ ، فتوجه إلى الشام ، فلم يزل مجاهداً بالشام حتى ختم الله له بخير ، ولم يترك الحارث إلا ابنه عبدالرحمن ، فأُتي به وبناجية بنت عُتْبة بن سَهْل بن عمرو إلى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فقال: زَوِّجوا الشريدة بالشريد عسى الله أن يَنْشُر منهما ، فنشر الله منهما ولداً كثيراً ، فولد له اثنان وثلاثون ولداً منهم أبو بكر بن عبدالرحمن ابن الحارث ، أحد الفقهاء على قول ، كما مر.

وليس في الصحابة الحارث بن هشام إلا هذا ، وإلا الحارث بن هشام الجُهَني ، روى عنه المصريون ، ذكره ابن عبدالبر ، وابن حَجَر ، يُكنى بأبي عبدالرحمن ، وهو مشهور بكنيته ، وليس للحارث صاحب الترجمة في «الصحيحين» رواية سوى هذا الحديث ، وله رواية في «سنن» ابن ماجة؛ أن النبي ﷺ تزوج أم سلمة في شوال.

وليس في «الصحيحين» من اسمه الحارث غير الحارث بن رِبْعِيّ بن قَتادة ، على أحد الأقوال في اسمه ، وغير الحارث بن عَوْف أبي واقِد اللَّيْثِيّ ، وهما بكُنْيَتِهما أشهر ، وأما خارج «الصحيحين» فجماعات كثيرون فوق المئة والخمسين ، والحارث يكتب بلا ألف تخفيفاً.

مات الحارث بن هشام في طاعون عَمَواس ، وقيل: استشهد يوم اليرموك. وأما ما رواه ابن لَهيعة بسنده؛ أن الحارث كاتب عبداً له فذكر قصة فيها ، فارتفعوا إلى عثمان ، فهذا ظاهره أن الحارث عاش إلى خلافة عثمان ، لكن ابن لَهيعة ضعيف ، ويحتمل أن تكون المحاكمة تأخرت بعد وفاة الحارث.

لطائف إسناده:

منها أن رجاله كلهم مدنيون ما عدا شيخ البخاري، عبدالله بن يوسف، وفيه تابعي عن تابعي، أعني هشاماً وأباه، وهو من رواية الأبناء عن الآباء.

أما رواية التابعي عن التابعي فقد تقدمت في الحديث الذي قبله.

وأما رواية الأبناء عن الآباء فهي كثيرة، وعكسها أيضاً واقع، فقد صنف الخطيب في رواية الآباء عن الأبناء كرواية العباس، عم النبي ﷺ لحديث الجمع بين الصلاتين بمزدلفة، عن ابنه الفضل، وكروايته أيضاً عن ابنه عبدالله، فقد قال ابن الجَوْزِيّ: إنه روى عنه حديثاً. وكرواية وائل عن ابنه بكر ثمانية أحاديث منها في «السنن» الأربعة، و«صحيح» ابن حبان، ما رواه بكر ابنه، عن الزُّهري، عن أنس أن النبي ﷺ أولم على صفية بسويق وتمر. وكرواية سليمان بن طَرْخان التَّيْمِيّ عن ابنه مُعْتَمِر حديثين، وقد روى الخطيب من رواية مُعتمر، قال: حدثني أبي، قال: حدثتني أنت عني، عن أيوب، عن الحسن، أنه قال: «ويحٌ» كلمة رحمة، قال ابن الصلاح: وهذا ظريف يجمع أنواعاً أي رواية الآباء عن الأبناء والعكس، والأكابر عن الأصاغر، والمُدَبَّج، والتحديث بعد النسيان، وغيرها، وكرواية قوم آخرين، رووا عن أبنائهم كأنس بن مالك روى عن ابنه غير مسمى، حديثاً، وزكريّا بن أبي زائدة روى عن ابنه يحيى حديثاً، ويونس بن أبي إسحاق، روى عن ابنه إسرائيل حديثاً، قال ابن الصلاح: وأكثر ما رويناه لأب عن ابنه ما رويناه في كتاب الخطيب، عن أبي عمر حَفْص بن عمر الدُّوري المقرىء، عن ابنه أبي جعفر محمد ابن حَفْص ستة عشر حديثاً أو نحو ذلك.

وأما أبو بكر الذي روى عن الحُمَيْراء عائشة، أم المؤمنين حديث الحبّة السوداء شفاء من كل داء «فهو» ابن عتيق محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، واسمه عبدالله، وعائشة عمةَ أبيه، لا أبو بكر الصديق،

وغلط من قال: إنه هو، مع أن ابن الجوزي ذكر أن أباها، أبا بكر الصديق، روى عنها حديثين، وروت عنها أمها أم رومان حديثين، وأما العكس الذي هذا الحديث منه، وهو رواية الأبناء عن الآباء، فقد صنف فيه الحافظ أبو نصر عبيد الله الوائِلِيّ، وهو مَعال أي مفاخر لولد الابن الناقل رواية أبيه عن جده كما قال ابن الصلاح: حدثني أبو المظفر السمعاني عن أبي النَّضر عبدالرحمن بن عبدالجبار الفامِيّ، سمعت أبا القاسم منصور ابن محمد العَلَوي يقول: الإسناد بعضه عَوالٍ وبعضه معالٍ، وقول الرجل: حدثني أبي عن جدي من المعالي. ومن أهم هذا النوع ما إذا أبهم الابن أو الجد، وهو بحسب هذا الإبهام قسمان:

أحدهما: ما تكون الرواية فيه عن أب فقط، كرواية أبي العُشرَاء عن أبيه، عن النبي ﷺ، فأبو أبي العُشرَاء لم يسم في طرق الحديث، واسمهما على المشهور أسامة بن مالك بن قهطم بهاء، وقيل بحاء مهملة بدلها، وهو بكسر القاف والطاء، وبفتحهما، وبفتح الأول، وكسر الثاني، وعكسه، وقيل اسمهما عُطارد بن بَرْز - براء ساكنة أو مفتوحة - وقيل بلام بدلها ثم زاي، وقيل يسار بن بلز بن مسعود، وقيل: غير ذلك.

والقسم الثاني: هو أن يزيد الراوي في السند بعد الأب أباه يكون جدّاً للراوي، أو يزيد جدّاً لأبيه، فالأول: كبُهْز بن حكيم، والثاني كعمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص. ولعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده نسختان كبيرة وصغيرة، وقد اختلف في الاحتجاج بكل منهما، فالأكثر من المحدثين احتجوا بحديثه حملاً لجده في الإطلاق على جده الأكبر الذي هو عبدالله بن عمرو بن العاص دون ابنه محمد، لما ظهر لهم من إطلاق ذلك، فقد قال البخاري: رأيت أحمد بن حنبل وعلي بن المَدِيْنِيّ، وإسحاق بن راهويه، وعامة أصحابنا يحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ما تركه أحد من المسلمين، وقال مرة: اجتمع عَلي، ويحيى بن مَعين، وأحمد، وأبو

خَيْثمة ، وشيوخ من أهل العلم يتذاكرون حديث عمرو بن شُعيب ، فثبتوه وذكروا أنه حجة ، وخالف آخرون ، فضعفه بعضهم مطلقاً وبعضهم في روايته عن أبيه عن جده دون ما إذا أفصح بجده ، فقال: عن جده عبدالله ، وبعضهم فصل بين أن يستوعب ذكر آباء آبائه ، كأن يقول الراوي: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن محمد بن عبدالله بن عمرو عن أبيه فهو حجة ، وإن يقتصر على قوله: عن أبيه عن جده فلا ، وعمرو ثقة في نفسه ، وإنما ضعف من قبل أن حديثه منقطع ، لأن شعيباً لم يسمع عبدالله ، أو مرسل لأن جده محمداً ، لا صحبة له ، ولكن قد صح سماعه من عبدالله ، ثم هذا النوع قد تَقِلُّ فيه الآباء ، وقد تكثُر ، وسلسل أبو الفرج عبدالوهاب بن عبدالعزيز بن الحارث بن أسد بن اللَّيث ابن سُليمان بن الأسود بن سفيان بن يزيد بن أكينة بن عبدالله التميمي الحَنْبَلِيّ ، فعد من جملة ما رواه روايته عن تسعة ، كل منهم روى عن أبيه ، فقد روى الخطيب ، قال: حدثنا عبدالوهاب من لفظه: سمعت أبا الحسن عبدالعزيز يقول: سمعت أبي أبا بكر ، يقول: سمعت أبي الأسود يقول: سمعت أبي سفيان ، يقول سمعت أبي يزيد ، يقول: سمعت أبي أكينة ، يقول: سمعت علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وقد سئل عن الحَنّان المَنّان ، فقال: الحنان هو الذي يُقبِلُ على من أعرض عنه ، والمنان الذي يبدأ بالنَّوال قبل السؤال ، قال العراقي: اقتصر ابن الصلاح على هذا العدد ، وقد ورد فوقه إلى اثني عشر وأربعة عشر ، فمثال الأول ما رواه رزق الله بن عبدالوهاب التَّميميّ ، عن أبيه عبدالعزيز بسنده السابق إلى أكينة ، عن أبيه الهيثم ، عن أبيه عبدالله ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما اجْتَمَعَ قومٌ على ذِكرٍ إلا حَفَّتهُم الملائِكةُ وغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ». ومثال الثاني ما رواه الحسن بن علي بن أبي طالب ببَلْخ ، عن أبيه علي ، عن أبيه أبي طالب ، عن أبيه الحسن ، عن أبيه عبيدالله ، عن أبيه محمد ، عن أبيه عبيدالله ، عن أبيه علي ، عن أبيه الحسن ، عن أبيه الحسين ، عن أبيه جعفر ، عن أبيه عبدالله ، عن أبيه الحسن ، عن أبيه علي ، عن أبيه الحسين ، عن أبيه علي بن

أبي طالب ، قال: قال رسول الله ﷺ : «لَيْس الخَبر كالمعاينة» وقد يلتحق برواية الرجل عـن أبيه عـن جده رواية المرأة عـن أمها عـن جدتها ، ومنها ما رواه أبو داود ، عـن بُنْدار ، عـن عبدالحميد ، عـن عبدالواحد ، عـن أم جَنوب ، عن بنت تميلة ، عن أمها سُويدة بنت جابر ، عن أمها عَقيلة بنت أسمر بن مُضرس ، عن أبيها أسمر قال : أتيت النبي ﷺ فبايعته ، فقال : «مَن سَبَقَ إلى ماء لم يَسْبِق إليه مسلمٌ فَهْو له» .

وأشار العراقي إلى هذا البحث بقوله :

وصَنَّفـوا فيمـا عن ابـن أخـذا … أَبٌ كَعبـاس عن الفضـل كذَا
وائـلٍ عَن بَكـر ابنِـه والتَّيميّ … عن ابـنـه مُعْـتَـمـرٍ في قَوْم
أمـا أبـو بَكـرٍ عن الـحَمْـراءِ … عائِشـةٍ في الـحَبَّـةِ السَّـوداءِ
فإنـه لابـن أبـي عَتـيق … وغُـلِّطَ الـواصـفُ بالـصديق
وعكـسـه صَنَّف فيه الـوائِلي … وهـو مَعـالٍ للحفيدِ النّـاقـل
ومـن أهـمِّـه إذا ما أُبـهـمـا … الأبُ أَوْ جَدٌّ وذاكَ قُسِّـمـا
قسـمَيْـنِ عن أَبٍ فقط نَحْـو أبي … الـعُشـرَا عن أَبـه عن الـنبـي
واسـمهـمـا على الشهير فاعْلم … أُسـامـةُ بن مالـكِ بن قِهْـطِم
والـثـانـي أنْ يَزيد فيه بعـدَهُ … كبَـهْـزٍ او عَمـروٍ أبـاً أو جَدهُ
والأكثـرُ احتجـوا بعَمْـروٍ حَمـلا … لهُ على الـجَـدِّ الـكبير الأعلى
وسَلْسَـل الآبـا الـتَميميُّ فَعَـدّ … عن تِسْـعـةٍ قُلْتُ وفـوق ذا وردْ

ومـن لطائفه: أن هذا الحديث يحتمل أن تكون عائشة حضرته ، فيكون مـن مسندها ، وأن يكون الحارث أخبرها به ، فيكون مـن مراسيل الصحابة ، وهي فـي حكم الموصول ، قال ابن الصلاح : ما رواه ابن عباس ، رضي الله عنهما ، وغيره مـن أحداث الصحابة ، مما لم يحضروه ، أو لم يدركوه فـي حكم الموصول المسند ، لأن روايتهم إما عـن النبي ﷺ ، أو عـن الصحابة فـي الغالب ، وجهالة الصحابي غير قادحة ، لأن الصحابة كلهم عدول ، فيُحْتَجُ به عند الجمهور خلافاً لأبي إسحاق الإسْفَرايِينيّ القائل : لا يُحْتَجُّ به إلا أن يقول : إنه لا يروي إلا عـن

صحابي ، والصواب الأول ، لأنه مذهب الشافعي والجمهور ، وقلنا : في الغالب ، لأن بعض الصحابة قد يروي عن بعض التابعين ، كرواية العبادلة عن كعب الأحبار ، وإذا قلنا : إن الغالب رواية الصحابي عن الصحابي ؛ فإنما سمي ما رواه الصحابي على الوجه المذكور مرسلاً بناء على القول : بأن المرسل ما سقط منه راوٍ فأكثر من أي موضع كان ، وإن اعتبرت النادر ، كان تسميته مرسلاً جارية على الاصطلاح المشهور ، لأن رافِعَهُ حينئذ تابعي ، ولما ذكر مرسل الصحابي وجب التعرض للمرسل ، وتبيين حقيقته ، فأقول :

المرسل بصيغة اسم المفعول ، ويجمع على مراسيل ، مأخوذ من الإرسال ، وهو الإطلاق كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنا الشَّياطِيْنَ على الكافِرِيْنَ﴾ [مريم : ٨٣] فكأن المرسل أطلق الإسناد ، ولم يقيده بجميع رواته ، وهو في اصطلاح الأصوليين قول غير الصحابي تابعياً أو من بعده ، قال ﷺ كذا أو فعله ، مُسْقِطاً الواسطة بينه وبين النبي ﷺ . وأما في اصطلاح المحدثين : هو ما رفعه التابعي إلى النبي ﷺ صريحاً كان أو كناية على المشهور ، وقيده ابن عُمر بما لم يسمعه من النبي ﷺ ليخرج من لقيه كافراً فسمع منه ، ثم أسلم بعد موته ﷺ ، وحدث بما سمعه منه كالتَّنُوخِيّ ، رسول هِرقل ، فإنه ، مع كونه تابعيّاً ، محكوم لما سمعه بالاتصال لا بالإرسال ، وخرج مرسل الصحابي ، وقد مر ما فيه ، وقيل : المرسل ما رفعه التابعي الكبير ، فما رفعه الصغير يسمى منقطعاً لا مرسلاً ، والكبير هو ما كان أكثر رواياته عن الصحابة ، والصغير أكثر رواياته عن التابعين ، وقيل : ما سقط من سنده راوٍ واحد كان أو أكثر ، من أوله أو آخره أو بينهما ، فيشمل المنقطع والمُعْضَل ، والمُعَلَّق ، ولذا قال النووي : المرسل عند الفقهاء والأصوليين ، والخطيب ، وجماعة من المحدثين ما انقطع إسناده على أي وجه كان ، ففيه ثلاثة أقوال ؛ أضيقها الثاني ، وأوسعها الثالث ، والأول هو المشهور في استعمال أهل الحديث .

واحتج به مالك ، وأبو حنيفة ، ومن تبعهم ، ورده جماهير النقاد من المحدثين ، وحكموا بضعفه للجهل بالساقط في الإسناد ، فإنه يُحتمل أن يكون تابعيّاً ، ثم يحتمل أن يكون ذلك التابعي ضعيفاً ، وهكذا إلى الصحابي ، وإن اتفق أن الذي أرسله كان لا يروي إلا عن ثقة ، إذ التوثيق في المبهم غير كاف .

ونقل ابن عبد البر ، ومسلم في «مقدمته» رد الاحتجاج به ، لكن عند بعض المحدثين ، وخصوصاً الشافعي ، إذا صح اتصال المرسل بمسند غيره ، يجيء من وجه آخر ، صحيح ، أو حسن ، أو ضعيف ، يعتضد به ، أو عضده مرسل ، أخرجه من ليس يروي عن رجال المسند الأول قُبِلَ ، ولم يفصل ابن الصلاح في المرسل المعتضد بين كبار التابعين وصغارهم ، وقيد الإمام الشافعي المعتضد بكونه من كبار التابعين ، وبكونه لا يروي إلا عن الثقات أبداً ، بحيث إذا سمَّى من أبْهمَ لم يُسمِّ مجهولاً ، ولا مرغوباً عن روايته ، ولا يكفي قوله : لم آخذ إلا عن الثقات ، ولا فرق في ذلك عنده بين مرسل سعيد بن المُسَيِّب وغيره ، وقيده أيضاً بكون من أرسله إذا شارك أهل الحفظ ، يُوافقهم إلا في نقص لفظ من ألفاظهم لا يختل به المعنى ، ولا ينحصر اعتضاده بما ذكر ، بل يعتضِدُ بغيره ، كقياس ، وفعل صحابي ، وعمل أهل العصر ، ولا يُحْتَجُّ بما لم يَعْتَضِد ، لكن قال السبكي : إن دل على محظور ولم يُوجد غيره ، فالأظهر وجوب الانكفاف احتياطاً .

فإن قيل : إذا اعتضد المرسل بمسند كان الاعتماد في الاحتجاج عليه لا على المرسل ، فالجواب أنهما دليلان ، فالمسند دليل برأسه ، يحتج به منفرداً ، والمرسل بالمسند يعتضد ، ويصير دليلاً آخر ، فيرجح بهما عند معارضة حديثٍ واحد ، وخَصَّ الرّازيّ الكلام بمسند لا يحتَجُّ به منفرداً ، وعليه فيكون اعتضاده به كاعتضاده بمرسل آخر ، فيكون كل منهما معتضداً بالآخر ، وحجة به ، وإذا وجد في السند عن رجل ، أو

شيخ ، أو نحوه ، مما هو مبهم ، سمي عند جماعة من المحدثين منقطعاً ، وفي «البرهان» لإمام الحرمين تسميته مرسلاً .

قال العراقي : وكل من هذين القولين خلاف ما عليه الأكثر فإن الأكثر على أن هذا متصل في إسناده مبهم ، لكنه مقيد بما إذا لم يسم المبهم في رواية أخرى ، وإلا فلا يكون مجهولاً ، ومقيد أيضاً بما صرح من أبهم بالتحديث ونحوه ، وإلا فلا يكون حديثه متصلاً ، لاحتمال أن يكون مرسلاً ، وهذا كله إذا كان الراوي عنه غير تابعي ، أو تابعيّاً ، ولم يصفه بالصحبة ، وإلا فالحديث صحيح ، لأن الصحابة كلهم عدول ، ووقع في كلام البيهقي تسميته أيضاً مرسلاً ، ومراده مجرد التسمية ، وإلا فهو حجة ، كما صرح به في موضع كالبخاري ، لكن قيده أبو بكر الصَّيْرَفيّ من الشافعية ، بأن يصرح التابعي بالتحديث ونحوه ، فإن عَنْعَنَ فمرسل ، لاحتمال أنه روى عن تابعي ، واستحسن العراقي كلامه ، وكلام من أطلق محمول عليه ، وتوقف فيه ابن حَجَر قائلاً : إن التابعي إذا كان سالماً من التدليس تحمل عنعنته على السماع .

وأشار العراقي إلى المرسل بقوله :

مرفوعُ تابعٍ على المَشهورِ ... مُرْسَلٌ أو قَيِّدْهُ بالكبيرِ
أو سقطُ راوٍ منهُ ذو أقوالِ ... والأولُ الأكثرُ في استعمالِ
واحتجَّ مالكٌ كذا النُّعمان ... وتابعوهُما بهِ ودَانُوا
وردَّهُ جَمَاهِرُ النُّقَادِ ... للجَهْلِ بالسَّاقِط في الإسنادِ
وصاحبُ التَّمهيدِ عنهم نَقَلَه ... ومسلمٌ صَدْرَ الكتاب أصَّلهْ
لكنْ إذا صحَّ لنا مَخرجُهُ ... بمُسنَدٍ أو مُرسلٍ يُخَرجُهُ
مَنْ ليسَ يروي عن رجالِ الأوَّلِ ... نقبلْهُ قلتُ الشيخُ لم يفصِّل
والشافعيُّ بالكبارِ قيَّدا ... ومَنْ روى عن الثقاتِ أبدا
ومَن إذا شاركَ أهلَ الحفظِ ... وافقهمْ إلا بنَقصِ لفظِ
فإن يُقَلْ فالمُسندُ المُعْتمدُ ... فقُلْ دليلانِ به يَعتضدُ

ورَسَموا مُنقطعاً عن رجلِ وفي الأُصولِ نَعْتُهُ بالمرسلِ
أما الذي أرسلهُ الصحابي فحُكمهُ الوَصْلُ على الصوابِ

وقال في «طلعة الأنوار»:

ومُرْسلُ الأصحابِ قُلْ مُتصِلُ إذ غالباً من الصَّحابي يحصلُ

وهذا الحديث أخرجه البخاري هنا، وفي بدء الخلق عن فَرْوة، ومسلم في الفضائل عن أبي بكر بن أبي شَيْبة:

الحديث الثالث

٣ ـ باب* : حدثنا يَحيى بن بُكَير، قال: حدَّثنا اللَّيثُ، عن عُقَيل، عن ابن شهابٍ، عن عُروةَ بن الزُّبَير، عن عائشةَ ـ أم المؤمنينَ ـ أنَّها قالت: أولُ ما بُدِىءَ به رسول الله ﷺ منَ الوَحيِ الرؤيا الصالحةُ في النَّوم، فكان لا يَرى رُؤيا إلا جاءت مثلَ فَلَق الصُبحِ، ثم حُبِّبَ إليهِ الخَلاءُ، وكان يَخْلو بغار حِراء، فَيَتَحَنَّثُ فيه ـ وهُوَ التَّعَبُّد ـ الليالي ذواتِ العَددِ قبل أن يَنْزِعَ إلى أهله، ويَتَزَوَّدُ لذلك، ثم يَرجِعُ إلى خَديجةَ، فيَتزوَّدُ لمثلها حتى جاءهُ الحَقُّ وهو في غارِ حِراء، فجاءهُ المَلَكُ، فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقارىء، قال: فأخَذني فغَطَّني حتَّى بلَغَ مني الجَهْدَ، ثم أرسَلَني، فقال: اقرَأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخَذني فغَطَّني الثانية حتى بلَغَ مني الجَهْدَ، ثم أرسَلَني، فقال: اقرَأ، قلت ما أنا بقارىء، فأخَذني فغَطَّني الثالثة، ثم أرسَلَني، فقال: ﴿اقرأ باسمِ رَبِّك الذي خَلَق، خَلَقَ الإنسانَ مِن عَلَق، اقرأ وربُّكَ الأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]. فرجَعَ بها رسُولُ الله ﷺ يَرْجُفُ فؤادُهُ، فدَخلَ على خديجةَ بنتِ خُوَيْلد، فقال: زَمِّلوني زَمِّلوني فزَمَّلُوهُ حتى ذَهَبَ عنه الرَّوعُ، فقال لخديجةَ وأخبرها الخَبَرَ: لقد خَشيتُ على نَفسي، فقالت خديجةُ: كَلَّا واللهِ ما يُخزيكَ اللهُ أبداً، إنَّكَ لَتصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدومَ، وتَقْري الضَّيْفَ، وتُعينُ على نوائِبِ الحقِّ. فانطَلَقتْ به خديجةُ حتى أتَتْ به ورقَةَ بن نَوْفل بن أسَد ابن عبدِ العُزَّى ـ ابنَ عَمِّ خديجةَ ـ وكانَ امرأً قد تَنصَّر في الجاهليةِ،